# رحـــلـــة

• (قصة) : محمد الطحاوي

## انطلق

بها القطار من أقصى الشمال من قريتها المطلة على البحر متجهاً إلى مدينة الازدحام والحركة القاهرة بكل سحرها .. انطلق موازياً في مساره نهر النيل صافرة القطار تعلو جسده الثعباني .. كأنها تزف حركته .. تمتمت شفتاها بأدعية آملة أن يكلل سعيها بنجاح هذه المرة بعد إخفاقات عديدة .

على رأسها حجاب يستر شعرها ، وعلى أكتافها ثمان وعشرون سنة .. هي أكبر فتيات القرية عمراً دون زواج ، حتى أختها التي تصغرها تزوجت وارتفع بطنها بحفيد ينتظره أبوهما ، بلغها أن البعض وصفها بلفظ عانس كان اللفظ نصلاً حاداً اخترف تجاويف الصدر ، ومس شغاف القلب .. تسللت إلى المرآة في حجرتها أطلت باحثة بدقة عن موعد التجاعيد في وجهها أو رقبتها .. تتمنى أن تكذبها وأن تعاند بشرتها الزمن ولا تعرف التجاعيد طريقاً إلى وجهها .

السؤال الحائر له طنين ذبابي الصوت .. يهاجمها وتعلو معه نبرة القلق المر ، كلما خبا أمل وتوارى أظلمت دنياها حتى يتوهج أمل جديد .

ماذا لو لم يتقدم إليها أحد ؟ ..

ثم تسارع مستدركة « استغفر الله العظيم «

تردد عبارة أمها .. لا تقلقي .. فكل فولة لها كيال . تعودت أن تهمس لنفسها .. أين أنت أيها الكيال ؟ لم تأخر ظهورك .. استحلفك أن تسرع ...

فكرت في الرحيل من قريتها .. في القدوم إلى القاهرة .. همس لها البعض «غيري عتبة « تذكرت النداهة .. ابتسمت في مرارة .. عاودها الإصرار .. سوف أعمل وأعيش في القاهرة .. أنتقي حياً راقياً .. أصادق الناس وأقيم جسوراً من العلاقات .. ولسوف يتعاطفون معي وتنفتح قلوبهم لي .. ومشكلة كبر السن تخف حدتها في القاهرة .. أطلت من نافذة القطار رأت النيل يحاذي طريق القطار كأنهما صديقان يتسامران ...

وكم جلست إلى شاطئ النيل في خلوة تمدها بالراحة .. تشكو إليه فتحس أنه يصغي إليها .. يفهمها .. يشاركها همومها .. تحس أنه في مسيرته الطويلة يتذرع بالصبر يزحف عبر مئات الكيلو مترات . وعليها أن تتعلم الصبر منه ..

تواتر صوت القطار في رتابة أسلمها إلى إغفاءة سريعة ما لبثت أن أفاقت شوقاً إلى ما ينتظرها .. انسالت الذكريات في غير ترتيب علاقتها بعمتها أبرز ما سيطر عليها .. الوعد الذي قطعته مع أبيها منذ طفولتها وظلت لسنين طويلة تردد :

– زوجة ابني ..

ينهرها أبي :

– لا تفتحي عين الأطفال بكلام سابق عن أوانه ..

أين وعدك يا عمتي ؟!.. ها نحن قد كبرنا ، استقبالك لي تلاعب بمشاعري ، كم وصفت جمالي وزينتي ، وما هللت به عند قدومي للإقامة عندك في السيدة زينب . وما دمت على هذا الجمال فلم تناسيت الوعد القديم ؟!

أشياء غامضة تتدافع إلى نفسها .. حين هللت العمة محتفية بقدومها توهج الأمل راحت تبث عبارات تتسع لها أذنها

---

* مصر

# رحلة

قصة محمد الطحاوي

وتتمدد :

–إيه الجمال ده ؟ سبحان من صور ..

تمنت أن يسمعها ابنها مراد .

–صحيح يا عمتي ؟

عطر المجاملة أسكرها .. أذابها .. ابتسمت كل ملامحها .. رقص قلبها .. سألتها عن أولادها .. بدأت بالبنات سألت عن حسنة ووصفتها بالجميلة، كان فمها يتحرك بالسؤال في شغف ومودة وعيناها تطوف بالحجرات باحثة عن مراد ..

– أين مراد يا عمتي ؟

لم تجب العمة .. ادعت أنها لم تسمع السؤال .. تشاغلت بما ينتظرها في البيت

– أقول اين مراد ؟!

– ربما يأتي متأخراً هذا المساء .. هذه عادته .

– ألم يعرف بموعد حضوري ؟

– بلى علم بحضورك ...

مراد كان يخدرها بوعوده ، عبارته الشهيرة « أنا أحق الناس بك « لمسات يديه تشعرها بالأمان .. أحلامهما معاً ، كان كل منهما يكمل حلم الآخر.. لم تنس مراداً للحظة واحدة .. يعيش في خيالها مع أنفاسها .. في كل قطرة دم تسري في عروقها.

واصل القطار إنطلاقه ، واستعاد سرعته . أصبح على مشارف القاهرة ..

الحيرة تغلف كل شاردة .. ماذا تخفي في جعبتك أيها الزمن ؟ .. لم تعد لدي قوة لمزيد من الصدمات .. انتظرت مراداً سنوات تأخر خلالها لإكمال دراسته فلم أضق بانتظاره حتى يعود في طيات الليل ؟ .. كانت تشعر من عبارات عمتها بشيء غامض مخيف

رددت العمة .. « كل شيء نصيب .. إننا مسيرون في حياتنا .. توجست من هذه العبارات .. اشتمت رائحة خيانة .. ودت لو تذكرها بإتفاقها مع أبيها منذ الصغر .

ثم كانت المفاجأة كالصاعقة فجرتها حسنة حين أعلنت ما كانت العمة تخفيه

– مراد ارتبط بزميلة له ..

صبغ وجهها اللون الأحمر .. وتناوبت عليه الألوان .. انسحبت روحها .. غابت الأرض الثابتة .. أحست أن الدنيا تدور بها .. حاولت أن تتماسك .. قاومت دمعة ذليلة .. أدارت العمة وجهها هروباً من موقف كانت تخشاه .

– لماذا لم تخبرونا كي نشارككم الفرحة ؟

– المسألة تمت بأسرع مما نتوقع .. وهي مجرد خطبة ..

تذكرت زيارتها السابقة .. وكيف كان مراد غريباً .. لم تجد تفسيراً لمحاولات العبث بها وهو الذي كانت تشعر معه بالحماية والأمان حين طلب منها أن تنزع الحجاب عن رأسها .. أنت في بيت عمتك ، ولست في الشارع ..رفضت.. ألح .. غضبت.. تحايل عليها .. أفهمها أن من حقه عليها أن يراها على طبيعتها .. وهذا ما يقربها منه ..

فعلت والحياء يكسو وجهها .. انجذب وجهها إلى الأرض ، والتصقت عيناها بموضع قدميها كأنها طفلة قد ارتكبت ذنباً .

غافلها .. قبل وجنتيها .. ثارت .. بكت .. هددت أن ترحل .. أن تعود إلى قريتها صرخ

– فلاحة ..فلاحة ..

حاولت أن تسترضيه .. ذكرته باتفاق عمته مع أبيها منذ صغرهما ، وله أن يفعل ما يشاء بعد ارتباطه بها .

– الثقة منعدمة فيّ .. أنت في القاهرة .

امتدت يده إلى يدها.. يدها اختفت تماماً في كهف يده .. وهنت مقاومتها .. تهاوت دفاعاتها .. تركته يقبلها .. شعرت بهبوط كأنها سقطت في بئر عميقة .. تلعثم نطقها تداخلت الكلمات .. ارتفعت الدماء في رأسها وفاض العرق على جبهتها ، كأن شوق الأيام قد تجمع في لحظات مفعمة بالرغبة . رأتها عمتها .. افتعلت صوتاً ، وأظهرت عصبية وضيقاً .. شعرت أنها تحملها خطأ ما حدث .. طلبت منها أن تسافر عائدة إلى القرية ...

ثم باركت ارتباط ابنها بأخرى .....